

ظاهرة انتشار التمايم في قرطاجة البونية

بين القرن التاسع و146 ق. م.

The amulets spread phenomenon in Carthage Punic
Between 9th century to 146 B.C

مولاي الحاج أحمد بومعقل¹

¹ جامعة "زيان عاشور" الجلفة (الجزائر)

ملخص: لم تتناول المصادر الأدبية كل جوانب تاريخ المغرب القديم لتترك فراغات، ولسد هذا الفراغ يعتمد المؤرخون على المادة الأثرية المكتشفة التي تعود إلى الفترة الممتدة بين القرن التاسع و 146 ق. م. وتعتبر التمايم التي تم الكشف عنها في قرطاجة جزءا من تلك المادة التي لم تحض من طرف الباحثين بالدراسة الكافية، خاصة العربية منها. ولذلك تعتبر هذه الدراسة محاولة للكشف عن بعض الجوانب التي احتوت عليها هذه المادة الأثرية، من حيث أشكالها وأنواعها، ومن ثمة أهميتها للفرد القرطاجي.

واستنادا على ما سبق من الدراسات وما احتوته من معلومات حول الموضوع، واعتمادا على المناهج التاريخية الوصفية والتحليلية، نستخلص أن انتشار استخدام التمايم كان نتيجة لأهميتها الكبيرة في المعتقد القرطاجي، وقد شملت كل مجالات الحياة، الدينية والدينية وحتى الحياة الأخرى.

الكلمات المفتاحية: التمايم؛ الحضارة القرطاجية؛ المعتقدات القديمة؛ العالم البونيقي.

Abstract:

The Literary sources did not covered all domains of the ancient Maghreb history, it left gaps. to fill this void, historians rely on the discovered archaeological material, the amulets (9 C to 146 BC). They were discovered in Carthage, and considered part of that material which has not prompted adequate study, especially Arabic ones. Therefore, this research is an attempt to cover some of the aspects that this archaeological material contained, in terms of its forms and types, and from there its importance to the Carthaginian individual.

Based on the previous studies and their information, and depending on the historical descriptive and analytical methodology, we conclude that the widespread use of amulets was a result of their great importance in the Carthaginian beliefs, and it included all areas of life, religious, secular and even the other life.

Keywords: Amulets; Carthaginian civilization; ancient beliefs; Punic world.

*Corresponding author, e-mail: moulayboumakel@gmail.com.

مقدمة:

لقد أمدتنا الحفريات التي جرت في مدينة قرطاجة والمناطق التابعة لها بمادة أثرية غزيرة، خاصة التماثيل التي تعد بالآلاف. وتنتشر التماثيل في العالم البونيقي بشكل ملفت للنظر. وهو ما دفعنا إلى الكتابة في الموضوع، وهذا العمل محاولة لتسليط الضوء عن جانب من جوانب التاريخ القرطاجي المتعلق بالمعتقد. ونطرح من خلال هـ إشكالية ظاهرة انتشار التماثيل في قرطاجة خصوصا والعالم البونيقي عموما؟ وي طرح ذلك تساؤلات عديدة منها نواعها وأشكالها بالإضافة إلى انتشارها ومدى الاعتقاد في قدرتها ؟

بدأ الاهتمام بموضوع التماثيل في قرطاجة منذ فترة غير وجيزة، ولكن الكتابة فيها لم تظهر إلا خلال الأربعين سنة الأخير من القرن الماضي وبشكل محتشم. ومن أهم الذين كتبوا في الموضوع نذكر فريدريش روكوب وجورج لونسال وتوفيق الرديسي فيما يتعلق بالتماثيل التي تشبه التماثيل المصرية وخالد المليتي فيما تعلق بالمادة التي تشبه الصناعة الإغريقية، ومنهم من كتب بشكل عام حول الحلي القرطاجية وكانت التماثيل ضمن تلك الحلي، مثل بريجيت كيارد.

والواقع أن المجتمع القرطاجي مثله مثل المجتمعات القديمة، آمن بقوى التيممة السحرية وقدرتها على التأثير في حياة الإنسان ومصيره.. إن ظاهرة الاعتقاد في التماثيل وانتشارها في المجتمع القرطاجي من الأهمية بما كان، إذ تشمل مجالات متنوعة منها الدينية والاجتماعية في نفس الوقت، كما تكشف لنا جوانب غامضة في تاريخ المنطقة لم تتناولها المصادر المكتوبة، ولا شك أن موضوع دراسة التماثيل في قرطاجة هو عمل معقد جدا بالرغم من توفر المادة الأثرية، وذلك للتداخل بين تلك الأشكال والمجموعات وكثرتها .

1. تعريف التيممة:

التيممة في اللغة العربية كلمة مفردة وجمعها تميمات وتَمَائِمٌ، وهي كل ما عُلق على العُنُق اعتقادا من صاحبها أنها تدفع عنه العين والحسد والسحر، وتقيه من الأرواح الشريرة. أو هي أي شيء يُنسب إليه قوة سحرية، يحملها صاحبها كي تحميه. (معجم اللغة العربية المعاصرة، ()، ج. 2 حرف التاء).

وهي عبارة عن خُرَز (ج. خُرَزَة) وأحراز (ج. حرز) وجدائل ومناجد مفردة أو منضد، على شكل عقد تتحلى بها النساء (فنطر. م. ح، (1999)، ص ص. 231 - 234)، ولم تكن حكرا على النساء فقد كان الرجال يضعونها أيضا في شكل قلادة، توضع على الرقبة وتتدلى على الصدر بالنسبة للأحياء، وعلى نفس المنوال كانت تعلق على الرقبة أو توضع على صدر الموتى، أو طرف من أطرافه كاليد والرجل، وكان القرطاجيون يضعونها في المرامد⁽¹⁾ التي تحفظ عظام الموتى المحروقة في الفضاء المقدس للطفاية (Redissi. T, (1999), p. 7, 85- 90).

وعادة ما تحتوي التماثيل على كتابات ونقوش محفورة (glyptique)، تمثل تعويذات سحرية وطلاسم (Redissi. T, (2008), 129- 134). ويتنوع محتوى تلك النقوش من رسوم لأشكال آدمية أو نصف آدمية، وأخرى حيوانية أليفة أو مفترسة وأشكال نباتية، وأشكال أسطورية (خرافية)، وكذلك الأجرام السماوية (Redissi. T et Tilot. M, (1995), 148-152). وترتبط تلك النقوش والكتابات بحسب ما يأمله حاملها منها، كالحماية أو المباركة أو جلب الحظ أو طرد الأرواح الشريرة (Redissi. T, (1991), pp. 98- 103)...

انتشرت ظاهرة التماثيل في قرطاجة خلال القرن السادس قبل عصرنا (Redissi. T, (1991), p. 95)، ولكن وجودها يعود إلى الزمن الأول لقرطاجة. وقد ظهر الاهتمام بدراسات التماثيل البونيقية حديثاً، خلال الثلاثين سنة الأخيرة فقط. حيث عكفت تلك الدراسات على تحليل محتواها الإيقونوغرافي (Iconographique)، فظهرت من خلالها أعمال جليلة منها ما قام به ج. هولبل (Holbl. G) بتخصيص جزء مهم من عمله لدراسة الأيقونات التي نقشَت على الجعلان المصنوعة من الحجر الصلب (Redissi. T, (2004), pp. 201- 204). ومن ثم توالت بعض الأبحاث حولها ومقارنتها بمثيلاتها في الشرق والغرب، ويأتي في مقدمة أولئك الباحثين ج. فركوتر (Vercoutter. J)، وفي هذا المجال قام ت. الرديسي بدراسة مجموعة تتكون من 20 تميمة (Amulette)، ومن خلال نوعية العجينة التي صنعت منها يبدو أنها صنعت محلياً في قرطاجة، أما المكونات الإيقونوغرافية (Iconographique) لهذه التماثيل فمعقدة ومتنوعة، ولكن التأثير المصري هو الغالب، وتطرح هذه التماثيل إشكاليات كثيرة وهامة، منها أصلها وتاريخها بالضبط (Redissi. T, (1991), p. 95)..

ومن بين المجموعات التي تمت دراستها مجموعة المتحف البريطاني (Britche muséum)، ومجموعة المتحف الأثري باليرمو سيفيكو دي كونا (Civico di cono)، والمجموعة التي عثر عليها في قرطاجة (لم تُدرس كاملة)، وكذلك مجموعات أخرى لدى الخواص أمثال بيجيو (Biggio) وتورنو (Torno) وج. دوسي (Dossey. G) (Redissi. T, (2004), pp. 201- 216)، والمجموعة التي عثر عليها في كركوان بتونس، والتي تعود ملكيتها إلى خواص فرنسيين، انتقلت ملكيتهم لها عندما كانت هذه المنطقة عرضة لأعمال حفر من قبل غير المختصين وغير القانونية (Clandestine) من قبل ناهبي الآثار، فاشتروها منهم، وهذا خلال سنوات 1929، 1940، 1950 و1955، وهو ما يجعلنا نجعل الوضع التي وجدت عليها هذه المجموعات (Redissi. T, (1995), pp. 115- 118)، وهذا ما يزيد من صعوبة دراسة تلك التماثيل وينطبق ذلك على الأثرية عموماً.

2. أنواع التماثيل وأشكالها:

تتداخل أنواع وأشكال التماثيل تداخلاً غريباً، مما يجعل عملية تصنيفها عملاً معقداً ومضنياً، وغير دقيق في نفس الوقت، ولذلك حاولنا تقسيمها إلى قسمين رئيسيين هما:

- القسم الأول: واعتماداً في ذلك على حجمها أو المادة التي صنعت منها.

- القسم الثاني: بناء على أشكالها. والواقع أنه ليس من السهل أبداً حصر جميع أنواعها وأشكالها في مثل هذا النوع من الدراسة، ولا يمكن اعتبار هذه العمل سوى محاولة لإلقاء الضوء على الموضوع.

1.2. أنواع التماثيل من حيث الحجم والمادة المصنوعة منها:

1.1.2. التماثيل من حيث الحجم:

تختلف أحجام التماثيل حسب الغرض الذي صنعت من أجله، ولكنها - على العموم - تتميز بصغر حجمها، ففي حالة التماثيل نجد أنها لا يتجاوز طولها 20 سم (هورس مايدان. مادلين، (1981)، ص. 111)، وهي أقل

حجما في أغلب الأحيان، إذ لا تتجاوز بضع سنتيمترات. أما في حال الاختام فيتراوح طولها بين 15 - 20 ملم وعرضها من 10 إلى 20 ملم، أما سمكها فبين 4 - 6 ملم، واحتوى الوجه الداخلي لها على نقش بارز (Redissi, T, (1999), p. 5. وفيما يخص القوارير والممرميات فتتراوح أقطار بطونها بين 3 و 11.8 سم أما ارتفاعها فبين 5.6 و 35.6 سم (Redissi, T, (2004), pp. 177- 185). أما العقود فتحتوي على أشكال صغيرة ومتنوعة (سيأتي التفصيل فيها)، وكذا الجعلان والشفرات التي يتراوح حجمها بين بضع ملليمترات إلى بضع سنتيمترات. وكان لبعض هذه التماثيل أعمدة على شكل معبودات مصرية كسخت، وحورس الصقر (Redissi, T, (1991), p. 95).

2.1.2. التماثيل من حيث مادة صنعها:

تباينت المواد التي صنعت منها التماثيل، فمنها ما صنع من مواد نادرة غالية الثمن، ومنها ما صنع من مواد بخسة رخيصة الثمن في متناول البسطاء من الناس. ومن المواد الغالية، كالأحجار الكريمة مثل حجر اللازورد والزمرد والعقيق الأحمر واليشب الأخضر والأصفر واللؤلؤ، ومن المواد المعدنية الثمينة التي صنعت منها نذكر الذهب والفضة والبرونز والنحاس، ومواد معدنية غير غالية كالرصاص والتصدير ومنه ما طلي بالذهب، ومواد أخرى غير معدنية كعجينة الزجاج والصخر منها المرمر أو الهيصم⁽²⁾ (Albâtre) والرخام والخزف المطلي بالورنيش. ومن المواد البخسة الخشب، والطين المشوي والحجارة العادية ومن عظم الحيوانات (مايدان هورس. مادلن، (1981)، ص. 116) و (Redissi, T, (1997), p. 366 ; (2002), pp. 109- 140).

2.2. التماثيل من حيث الشكل:

1.2.2. التماثيل:

ظهر استعمال التماثيل الصغيرة في قرطاج خلال القرن السادس ق. م وما بعده (مايدان هورس. مادلن، (1981)، ص. 111). وكان القرطاجي يحملها معه في حله وترحاله، وتمثل رموزا للمعبودات أو ترتبط بمعتقدات فينيقية أو محلية أو مصرية قديمة أو إغريقية (الفرجاوي. أحمد، (1993)، ص. 79).

ومن أشكال التماثيل نجد الشكل الآدمي مثل المومياء التي لا يظهر منها إلا الرأس (مايدان هورس. مادلن، (1981)، ص. 111). ومنها تماثيل المرأة الحبلية، وكان هذا النموذج من التماثيل منتشرا جدا في الشرق في فينيقيا ومصر، ولكن عثر في قرطاج على شكل فريد من نوعه يمثل امرأة ذات جسم متضخم في جزئه العلوي النحيف في الأطراف السفلية، أما تفاصيل الوجه فقد نحتت تفاصيل باليد (الفرجاوي. أحمد، (1993)، ص. 80).

ومن التماثيل ما أخذ أشكالا حيوانية (زومورف) (zoomorphe) للمعبودات سواء الحيوانات المتوحشة منها أو الأليفة كالمعبود المصري حورس⁽³⁾ (ديناند. فرنسواز، لشتبرج. روجيه، (2012)، ص. 99، 143-144). الذي يأخذ مظهر الصقر ونوت (Nout) التي تمثل في الميثولوجيا المصرية معبودة السماء، ومن أشكالها أنثى الخنزير (La truie)، التي ترمز إلى الخصوبة والأمومة ومعين الحياة الذي لا ينضب (Zeghal Yazidi, Samia, (2009), p. 344- 345)، والبقرة حتحور الربة السماوية التي تلد الشمس وتستطيع حبسها، ويعني اسمها "مسكن حورس"، أو إيزيس زوجة أوزيريس (ديماس. فرانسوا، (1998)، ص. 48، 67، 72). ممثلة في شكل بقرة رفقة عجلها أو بدونها، والمعبودة سخمت (Sekhmet) زوجة بتاح (Ptah) وأم نفرتوم (nefertoum) في شكل

لبؤة (168- 163, p. Redissi. T, (1990)). وأنوبيس في شكل حصان (Zeghal Yazidi. Samia, (2009), p. 321). والأفعى المقدسة "الكوبرا" الحامية التي تشاركت فيها كثير من الرباط وعلى رأسها "أودجات" (ديناند. فرمسواز، لشتنبرج. روجيه، (2012)، ص ص. 165- 167)، ولم تقتصر الأشكال الحيوانية على الحيوانات المعروفة لدى المصريين فقط، بل شملت الحيوانات المحلية كالأسد وعلى الحيوانات التي اشتهرت لدى الإغريق كالدلفين (Melitti. Khaled, (Mai 2006), pp. 170-175).

وتجمع بعض التماثل بين الصورة الآدمية والحيوانية في نفس الوقت، على غرار ما كان في مصر القديمة، مثل أبي الهول (Redissi. T, (1990), pp. 168- 170.) أو جسم امرأة ورأس قط أو رأس لبؤة والتي تمثل الإله باستت أو جسم امرأة برأس أفعى الكوبرا (ديناند. فرمسواز، لشتنبرج. روجيه، (2012)، ص ص. 158، 165).

ومن الممكن أن تكون تلك التماثل الآدمية مجالا لدراسة التاريخ والثقافة البونيقية من جوانبها المتنوعة، من لباس وحلي وتسريحات الشعر ومعتقدات وأدوات الموسيقى، والتأثيرات الأجنبية على الحضارة البونيقية. وقد عالجت زهرة. شريف نماذج عديدة من التماثل الأنثوية، وأصدرت في ذلك عديد المقالات منها: (Chérif. Z, (2017), pp. 29- 35).

ولم تقتصر أشكال التماثل على ما ذكر فقط بل نجد منها ما هو على هيئة رأس شيطان أو رؤوس بشرية لأشخاص ذوو لحية كثيفة ناعمة أو مجعدة أو لهم شعر كثيف وأخرى لأشخاص محلي الرأس، كما ضمت أشكالاً أسطورية كأبي الهول (السفانكس) (Le Sphinx) (4) (هورس مايدان. مادلين، (1981)، ص ص. 110، الفرجاوي. أحمد، (1993)، ص ص. 86- 90)، وكذلك الأشكال الحيوانية كرأس الكباش آمون أو السباع والسنوريات، ومنها على شكل معبودات مصرية كسخمت وإيزيس وأوجات (6)، وفي شكل جعلان (Redissi. T, (2011), p. 51- 53 ; (2011bis), 49- 56).

2.2.2 الأختام (Les Seaux):

تشكل الأختام أكثر المواد الأثرية التي تم العثور عليها في مدينة قرطاجة والعالم البونيقي، من حيث أعدادها، إذ كشفت الحفريات التي جرت في مواقع عديدة من قرطاجة والمناطق التي كانت تحت نفوذها عن آلاف القطع منها، وضمن تلك المجموعات نجد ما اكتشفه دولتر ر. ب (R. P. Delattre) (Redissi. T, (Juin. 1991), pp. 13-15)، وأيضاً التي وجدها ف. راكوب (F. Racob) في درمش - قرطاجة في نقطة تقاطع الكاردو 13 مع الدوكيمانوس ماكسيموس (5) (Decumanus Maximus) الروماني، بالقرب من النهج المسمى الآن ابن شبعات (Ibn chabàat)، إثر الحفريات التي قامت بها فرقة البحث الألمانية بين سنوات 1989 و 1994، وقدم لنا هذا الموقع وحده عدد 4726 قطعة من الأختام (Redissi. T, (2004bis), pp. 201- 216).

وتم تقسيم تلك الأختام إلى ست (6) مجموعات حسب الطابع الذي يميزها، منها 2319 ذات طابع مصري وأخرى تحمل طابعاً إغريقياً (Redissi. T, (1995), pp. 114- 126)، ويظهر عليها أثر الاحتراق بوضوح، وهو

ما يؤكد بشاعة ما قام به الرومان في 146 ق. م عشية احتلالهم للمدينة. وتعود هذه الأختام إلى القرن الثاني ق. م (Redissi. T, (1999), pp. 25- 42).

وللأختام أشكال متعددة منها ما هو على شكل مناجد تعلق على الصدر ومنها ذات الشكل المسماري وأخرى علبة كأنها قرص الشمس ومنها الأسطواني والبيضي وذات الشكل الجرسى، ومنها ذات الحلقة الفضية وأخرى ذات القاعدة المستطيلة والمستقيمة (الفرجاوي. أحمد، (1993)، ص ص. 85 - 90)، ومنها ما هو على شكل خاتم (Bagues) تزين بها الأصابع. وعادة ما يأخذ الختم صورة الجعل، فالجزء المقعر على صورة جعل أما المسطح فمنقوش أو مزخرف بما يناسب صاحب الجعل.

3.2.2. الجعلان والجعلات (Les scarabées et scaraboides):

الجعل حشرة من فصيلة الخنافس، ومن خصائصه صنع عدة كرات من فضلاته ودفنها متراجعا إلى الخلف، وكان القرطاجيون يضعونها كتعويذات في المرادم بالطفاية (Tophete) (Redissi. T, (2011bis), p. 51). ويبدو أن اهتمام القرطاجيين بالجعل لا يقل عن اهتمام المصريين بها، فأعطوا لأختامهم (Sceaux) صورته وكانوا يتخذونها مناجد تتدلى على صدورهم، ومنهم من كان يفضلها فصوصا تزدان بها خواتمهم (Bagues) وتدور محاورها (فنطر. م. ح، (1999)، ص. 234)، كما كانوا يضعونها إلى جانب موتاهم مثل المصريين تماما.

واكتشف في مدينة قرطاجة الآلاف من الجعلان منها مجموعة ف. راكوب (Racob. F) البالغ عددها 4726 قطعة من الجعلان (Redissi. T, (2004bis), pp. 201- 216)، ومنها أيضا ما اكتشفه ج. ب. مورال (Morel. J. P) خلال الحفريات التي كان يقوم بها جنوب هضبة بيرصا، حيث عثر على قبر دفن فيه شاب واحتوت الغرفة الجنائزية للقبر على أدوات تمثلت في مجموعة من الجعلان والتماثيل ذات الطابع المصري، وتعود هذه المادة الأثرية إلى القرن الرابع ق.م (Roudissi. Siham, (1995), pp. 34- 39). ولم يُدرس ويُنشر منها سوى بعض المجموعات فقط (Leclant. J, (1995), p. 44).

4.2.2. الحلي وأدوات الزينة:

وهنا لابد من الإشارة إلى شح الدراسات والكتابات التي تناولت موضوع الحلي وأدوات الزينة المكتشفة في قرطاجة والعالم البونيقي نظرا لحدائثة مجال دراساتهما، وكثرتها وتنوعها، ومن أبرز من كتب في هذا الموضوع كيار. بريجيت (Quillard. Brigitte) كتابا من ثلاثة أجزاء حول الموضوع بعنوان العقود من جزأين والأغمدة والأختام والمناجد والحلق والخواتم (أنظر البيبليوغرافية). ويزيد في تعقيد الدراسة دواعي استعمالها في الأثاث الجنائزي القرطاجي (Redissi. T, (1997), pp. 360- 365; (2002), pp. 112- 117).

لقد عثر على أكثرها ضمن الأثاث الجنائزي في القبور القرطاجية، وتختلف الوضعيات التي وجدت عليها فمنها ما وضع بجانب الجثمان كقوارير العطور ومنها ما وضع على الجثة مباشرة أو كانت جزءا يلبسه كالعقود. أما في المرادم ففي أغلب الأحيان كانت توضع فوق الرماد، ومن الملاحظ أن تلك التماثيل لا تحتوي على أدنى أثر للنار، ولا تفسير لذلك إلا إذا اعتبرنا أن النار لم تلمسها أي أنها لم تكن ضمن الجثمان عند عملية الحرق، ويعتقد أن لها وظيفة (طلسمية) سحرية (Chérif. Z, (2017), p. 30).

وتدل تلك المادة على تأثر الصناعة القرطاجية بالمصرية، منها المرمريات (albatros) والشفرات، المرايا، والأمشاط، والأقراط، والأساور (Redissi. T, (1997), pp. 359 – 360; 365 – 366). وكان القرطاجيون من الذكور يتزينون بها أيضا (فنطر. م. ح، (1999)، ص ص. 219 – 221)، ويبدو أنه لم يكن لتلك الأدوات أهمية كبيرة في الحياة اليومية لدى قدماء البونيقين، ولكن كان دورها أساسيا في الحياة الروحية حسب ما كانوا يعتقدون، فهي هبات تقدم للميت أو لمعبوداتهم إرضاء لها ولروح الميت (Redissi. T, (1997), pp. 359- 369).

وتتدرج المرمريات ضمن أدوات الزينة، وهي قنينات صغيرة تصنع عادة من الزجاج أو المرمر أو الخزف، وظهرت منذ بداية القرن الثامن ق. م، ومن الأمثلة التي عثر عليها في قرطاجة المجموعة التي تتكون من 30 قطعة، وكان من بينها 19 قطعة في حالة جيدة، وقد قام ت. الرديسي بدراسة جزء منها (Redissi. T, (2004), pp. 177- 179).

ومن تلك الأدوات نجد أيضا المشط الذي لازم المرأة في حياتها ومماتها، ولم يقتصر استعماله على المرأة فقط بل استخدمه الرجال أيضا، وتعود تلك الأمشاط إلى فترات زمنية متباعدة من تاريخ قرطاجة، بداية من القرن السادس إلى غاية القرن الثاني ق. م. منها المستوردة من الشرق خاصة مصر، مثل المشط الذي عثر عليه في إحدى القبور القرطاجية ونقش عليه صورة لأبي الهول (السفانكس)، وفي نفس الوقت عثر على أمشاط مصرية الطابع ولكنها مقلدة محليا، وعلى الأغلب تم صنعها في ورشات الحرفيين بقرطاجة (Leclant. J, (1995), p. 45- (46).

نقشت مقابض الأمشاط بأشكال ورسومات لمشاهد مستوحاة من معتقدات وأساطير محلية وفينيقية أو مصرية وإغريقية (Redissi. T, (1997), p. 366)، ومنها ما ينتهي مقبضها بنحت على هيئة رأس معبود مصري كسحمت أو اللبوة أو الكبش آمون، أو رأس الصقر حورس (Leclant. J, (1995), p. 45).

وتتدرج الشفرات والفؤوس النذرية كذلك ضمن التماث (Leclant. J, (1995), p. 46)، وهي جزء أساسي في الأثاث الجنائزي القرطاجي، وقد تأثرت هذه الأدوات منذ البداية بمثيلاتها المصرية، وكانت الشفرات البونيقية الأصلية تصنع دون مقابض ولكنها تحمل نقوش لمشاهد مستوحاة من الطقوس الجنائزية المصرية أو صور لمعبودات مصرية ورسم عليها أيضا رموز معبودات مصرية مثل عين أوجات البسيطة أو المجنحة لطرد الحسد، ورسم عليها أشخاص صفف شعرهم على النمط المصري. أما المتأثرة بالمصرية المصنوعة من البرونز فذات مقابض ولم تكن مزخرفة، أما القرطاجية المقلدة فكانت مزينة بأيقونات وكتابات مصرية (Redissi. T, (1997), pp. 365). وكما هو الحال بالنسبة لأدوات الزينة التي صنعت من مواد متنوعة نجد أن الشفرات كذلك قد صنعت من مواد معدنية متنوعة منها الذهبية والفضية والبرونزية والنحاس (Leclant. J, (1995), pp. 46- 50).

5.2.2. العقود والقلادات:

تتدرج العقود والقلادات ضمن التماث وهي من أدوات الزينة أيضا، ولكن نظرا لأهميتها وكثرتها فقد أفردنا لها جزءا ضمن أشكال التماث، وهي من بين أكثر أشكال التماث انتشارا في المادة الأثرية القرطاجية (Leclant. J, (1995), pp. 46- 50).

45. p (1995)، ولم تكن مثل أدوات الزينة الأخرى التي ارتبطت بالأثاث الجنائزي أكثر، وإن كانت حاضرة فيه وبقوة فلم يستغن الأحياء عنها، ولم تكن وظيفتها منوطة بالجانب السحري فقط، بل كانت ترتدى للزينة أيضا (Redissi. T, (2002), pp. 109- 116).

وكانت العقود تتألف من مجموعة من التماثيل والخرز الصغيرة الحجم لأشكال متنوعة آدمية وحيوانية ورموز للمعبودات، وتجمع في خيط أو ترتبط ببعضها البعض عن طريق حلقات (حلقة صغيرة)، أو ضمن حلقة معدنية واحدة. وفي الغالب يتوسط العقد قلادة منقوشة من الوجهين. وقد تأخذ القلادة شكل جعل أو شكل هندسي منقوش برسومات وكتابة سحرية. وتدل مجموعات العقود التي عثر عليها في قرطاجة على تأثرها بالمعتقدات المحلية والأجنبية (Quillard. Brigitte, (1979), pp. 120- 130).

وقد جمع من قرطاجة وحدها قرابة 200 قلادة زجاجية وكلها تعود إلى بداية القرن الرابع ق. م، ومن المحتمل أن تكون قرطاجة المركز البونيقي الأكبر في صناعة هذا النوع من القلادات، وقد ضمت أشكالا مختلفة منها الكباش والديك (Leclant. J, (1995), p. 46). وعثر على مجموعات أخرى في القبور، مثل الذي وجد متناثرا (كان يشكل عقدا فانفرط بمرور الزمن)، وحملت بعض القلادات نقوشا مصرية الطابع، كقرص الشمس والشعبان المقدس (الكوبرا)، وأودجات، ولم تشمل القلادات التماثيل ذات الطراز المصري فقط بل كان منها ما نقش عليها رموز لمعبودات محلية وإغريقية (Leclant. J, (1995), p. 44).

والواقع أن أشكال التماثيل لا يقتصر على ما ذكر فقط، فقد تكون على شكل رفاقات من الطين أو الجلد ومن ورق البردي نقش عليها مظاهر من معتقدات دينية أو أساطير قديمة أو كتب عليها شيء من التعاويذ، مثل رسم البقرة حتحور وهي ترضع أبنها حورس⁽⁷⁾ (Redissi. (T), (1991), p. 99).

ومن الأمثلة على أشكال التماثيل الأشكال رقم: (1، 2)

3. مصدر التماثيل والاعتقاد فيها:

يعود أصل اعتقاد القرطاجيين في التماثيل إلى عصور موغلة في القدم، فلا شك أنهم قد ورثوها عن أسلافهم الفينيقيين الذين تأثروا بدورهم بالمصريين (Fantar. m. h, (2004), p. 203- 211)، وكذلك تأثر القرطاجيون بما وجدوه عند المغاربة القدماء، وتأثروا أيضا بالمعتقدات الإغريقية، وما كان يعتقد فيه سكان سواحل البحر المتوسط، وخلاصة القول أنها عادة قديمة جدا عند القرطاجيين ولكنها تطعمت بثقافات الشعوب التي احتك بهم القرطاجيون.

ومن المؤكد أن المصريين قد سبقوا الفينيقيين والقرطاجيين في اعتقادهم في القوى السحرية للتماثيل، وفي استخدامهم لها (ديناند. ف، لشتنبرج. ر، (2012)، ص ص. 173 - 174)، وأخذ الفينيقيون بعض الأفكار والأشكال عن المصريين. واعتقد القرطاجيون أن حملهم حماية ووقاية لهم من عالم غيبي لم يكن بمقدورهم فهمه وتفسير ظواهره، فكانت التميمة لا تفارقهم أبدا، حيث حملوها معهم أينما ذهبوا في أسفارهم البعيدة (Redissi. T, (2011bis), p. 54 ; (1990), p. 169)، كما وضعوها على جثمان موتاهم، واعتقدوا إنه لا يمكن الاستغناء عنها في حياتهم الدنيا وبعد مماتهم، فكانت عنصرا أساسيا في الأثاث الجنائزي المصري والفينيقي والبونيقي على حد سواء (Redissi. T, (1990), p. 164).

وكان منها الجعل الخاص بالقلب الذي لا يمكن لأي متوف الاستغناء عنه، حيث كتب عليه إحدى العبارات من كتاب الموتى، والتي يناشد فيها الميت قلبه بأن لا يشهد ضده في محكمة أوزوريس (ديناند. ف، لشتنبرج. ر، (2012)، ص ص. 172-174)، وهنا تطرح إشكالية مهمة تتمثل في مدى تعلق القرطاجيين بالمعتقدات المصرية القديمة، ومدى معرفتهم باللغة المصرية والكتابة الهيروغليفية؟

ويبدو أن اختيار المصريين الجعل لسك أختامهم وطلاسمهم يستند إلى تلك الأسس الدينية السحرية التي كانوا يؤمنون بها، وإلى ما كان المصريون القدامى ينسبون لهذه الحشرة ولصورتها من قوة ودلالات في سلوكها (فنطر. م. ح، (1999)، ص. 234). وإن وضع الجعل بجانب الميت يرمز إلى القدرة على العودة إلى الحياة، فالميت سوف يرث خصائص الجعل فيعود إلى الحياة مرة أخرى، مثل الجعل الذي يخرج من العدم تماما. وقد عرّفه ج. فركوتر (J. Vercoutter) على أنه بطاقة هوية الميت، وهي الشيء الوحيد الذي يوضع على الجثة وبجانبيها الأواني الفخارية، ومن الغريب أنه في نفس الوقت الذي انتشر فيه وبقوة استخدام الجعل في قرطاجة وكل العالم البونيقي، كان استعماله في مصر قد توقف واختفى تماما (Vercoutter. J, (1945), p. 307).

ويشهد استعمال البونيقين الواسع للجعل على اعتقادهم بما كان يعتقد به المصريون في هذه الحشرة، ودليل على معرفتهم العميقة بالديانة والسحر المصريين المرتبطة بالحياة في العالم الآخر، حيث كان البونيقون يضعون هذه التعويذات في المرامد التي تُحفظ فيها العظام المحروقة في الفضاء المقدس للطفاية (Redissi. T, (2011bis), p. 51).

أما فيما يخص مصدر هذه التماثيل فمنها المصرية الأصلية المصنوعة بنفس التقنية التي صنعت بها الجعلان المصرية وحملت كتابات هيروغليفية (Lancel. Serge, (1992), p. 83) وهي مستوردة من مصر على الأرجح، ومنها ما هو صناعة محلية مقلدة، وفي بعض الأحيان ونتيجة لدرجة الإتقان التي بلغها الحرفي البونيقي، يجد المختصون صعوبة في التفريق بين ما هو أجنبي وما أبدعته أيدي الصناع البونيقين. وتشير كيارد. ب (Quillard. B, bijoux, (1987), p. 189) إلى أن الصور المنقوشة على الخواتم تبين عمق ما استوحاه الحرفي البونيقي من الفن والأساطير الشرقية، ولكنه أدخل تغييرات على تلك الأفكار، ولذلك يمكن القول أنه لم يكن ناقلا فقط.

وتساءل الباحثون حول الطريقة التي وصلت بها تلك التماثيل إلى قرطاجة، إن كانت قد جاءت من مصر وبلاد الإغريق عن طريق التجارة أم أنها تقليد فينيقي - بونيقي للصناعة المصرية والإغريقية ؟ (Leclant. J, (1995), p. 43). وبعد دراسة تلك المادة الأثرية تبين أن منها ما هو مستورد ومنها ما صنع محليا، حيث قلد الحرفي البونيقي الصانع المصري والإغريقي، ويقول ج. لوكلو في ذلك " إذا تمعنا في المادة المصرية الخاصة بهذه الفترة وجدنا أنها تختلف عن التي وجدت في قرطاجة " (Leclant. J, (1995), p. 45)، ويوافقه في هذا الرأي الباحث خالد المليتي بالنسبة للمادة المتعلقة بالصناعة الإغريقية (Melitti. Khaled, (Mai 2006), pp. 175-195).

4. مجالات استعمال التمايم في قرطاجة:

وارتبط استخدام التمايم بما كان يأمله القرطاجي منها وما تختص به من قوى سحرية في مسألة معينة، فمنها ما يختص بالحماية ومنها ما يستخدم لجلب الحظ وأخرى لطرد الأرواح الشريرة والحسد والعين. ولذلك كانت ملازمة للقرطاجي (الفراجوي. أحمد، (1993)، ص. 79).

وبالنظر إلى عدد التمايم الهائل التي عثر عليها في مدينة قرطاجة والعالم البونيقي، نستطيع القول أن لها أهمية كبيرة في حياة القرطاجيين عموماً، ولقد ساهم الاعتقاد فيها في استعمالها في شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والأغراض الدينية، ومن ذلك تستعمل الأختام من أجل ختم المعاهدات والاتفاقيات والعقود التجارية المصنوعة من ورق البردي، وكان القرطاجي يحمل ختماً يعتمد كتوقيع (مايدان هورس. مادلين، (1981)، ص. 116). ونقش عليها صور كالصقر وأبي الهول وشخصيات ملكية في حالة الوقوف أو جاثية على ركبتيها والريشة والكوبرا (Redissi, T, (1999), pp. 5- 8)، وإيزيس ترضع ابنها حورس وفي صراع مع أسد أو ممسكة به (Redissi, T, (1999), pp. 13-24) ونقش عليها أسماء مثل تحتمس (Redissi, T, (1999), pp. 18- 20) ومنقورع بالكتابة الهيروغليفية، كما نقش بعض الأختام بالخط البونيقي (Redissi, T, (1999), p. 13 ; Redissi. (T et Tilot. M, (1995), pp. 146- 150).

كان مصدر معظم التمايم التي عثر عليها في قرطاجة القبور، رغم أن الأحياء قد استخدموها في حياتهم اليومية وفي أسفارهم أو عند قيامهم بأعمال كالتجارة. ويمكن تفسير وجودها في القبور أكثر دون الأحياء السكنية، ذلك أن القبور بقيت محتفظة بما احتوته من أدوات فلم تصلها يد الإنسان إلا نادراً، أما ما كان يرتديه الإنسان القرطاجي فقد اندثر مع الزمن، خاصة ما تعلق بالمواد القابلة للتلف كالطين والحجارة أو المعادن القابلة للصدأ. أما المعادن الثمينة فعدد التمايم التي عثر عليها قليل، وربما يعود سبب ذلك إلى النهب الذي تعرضت له المدينة في 146 ق. م من طرف الرومان.

5. انتشار التمايم في العالم البونيقي:

لم يقتصر وجود التمايم على مدينة قرطاجة وحدها، بل شملت كل منطقة البحر المتوسط، حيث كشفت الحفريات عن بضع مئات الآلاف منها (Redissi. T, (2011), p. 39) في جزر البحر المتوسط التي كانت مجالا حيواً للتوسع التجاري الفينيقي -البونيقي، كقبرص وكورسيكا والسواحل الجنوبية الشرقية لإيطاليا ومدن السواحل الجنوبية لإسبانيا والسواحل الجزائرية وسواحل المغرب الأقصى، وفي سواحل تونس الحالية (Redissi. T, (1995), p. 115). أما بخصوص ما اكتشف في مدينة قرطاجة فيعد بالآلاف كما سبق الإشارة إلى ذلك مثل مجموعة ف. روكوب (Redissi. T, (2004bis), pp. 201- 216)، وما اكتشفه ج. ب. مورال (Morel. J. P) خلال الحفريات التي قام بها في الضاحية الجنوبية لهضبة بيرصا، حيث عثر على قبر دفن فيه شاب واحتوت الغرفة الجنائزية للقبر على أدوات تمثلت في مجموعة من الجعلان والتماثيل ذات الطابع المصري، وتعود هذه المادة الأثرية إلى القرن الرابع ق. م (Roudissi. Siham, (1995), pp. 34-39). وقد تم دراسة ونشر بعض المجموعات منها فقط (Leclant. J, (1995), p. 44).

6. الخاتمة:

اعتقد القرطاجيون في القوى السحرية للتماث، فلم يستغنوا عنها في حياته ومماتهم. وقد تأثر القرطاجيون في معتقدتهم هذا بما ورثوه عن أسلافهم الفينيقيين، وما نقلوه من الشعوب التي احتكوا بها، وفي مقدمتهم سكان بلاد المغرب والمصريين وكذا الإغريق. وتدل الكميات الهائلة من التماث التي تم العثور عليها في قرطاجة والعالم البونيقي على مدى الاعتقاد فيها وانتشارها. وقد تعددت أشكال وأنواع التماث، كما تعددت وظائفها ومجالات استعمالها، فلا يستثن أي مجال من مجالات الحياة منها، حتى أضحت القرطاجي غير قادر على الاستغناء عنها

رغم أن بعض الباحثين اهتموا بدراسة التماث في مدينة قرطاجة والعالم البونيقي، إلا أن ذلك يبقى غير كاف، فلم تتناول هذه الدراسات جميع الجوانب المتعلقة بهذه المادة الأثرية. ولذلك تعد دراسة التماث في قرطاجة والعالم البونيقي مجالا خصبا للباحثين المتخصصين في المستقبل.

الإحالات:

(1) إناء من الفخار أو الخزف على شكل مزهرية متوسطة الحجم، توع بها رماد وعظام الأطفال بعد حرقهم فيما يسمى ملوخ.

(2) حجر أبيض شاف تتخذ منه الحقائق والتماثيل. أنظر المعجم الموحد، ص. 8.

(3) حورس هو الراعي والحامي والكفيل بسلطة الفرعون ومهمته الأساسية حماية وحدة مصر، وكل ملك يفترض أن يكون حورس.

(4) تمثال لحيوان خرافي بجسم أسد ورأس إنسان عند المصريين، مجنح له جسم أسد وصدر ورأس امرأة عند الإغريق.

(5) هو محور طريق ينطلق من الشرق نحو الغرب ويتقاطع بالكاردو الذي ينطلق من الشمال نحو الجنوب، ويتقاطع الديكومانوس ماكسيموس مع الكاردو ماكسيموس في الفوروم في المدن الرومانية.

(6) ترمز أوجات في المعتقد المصري القديم إلى الشباب والخضرة، وتظهر على شكل ساق البردي أما عين أوجات فإنها تمثل النصر على الشر، فهي تعني أيضا انتصار الحياة على الموت ومرادفة للصحة وتعني الحماية والتجديد.

(7) يعتبر اللبن مصدرا للحياة والطاقة خاصة عندما تقدمه إحدى الربيات إلى الطفل الملكي.

- ملحق لأشكال:



شكل (1): تميمة على شكل تمثال بجسم إنسان ورأس لبؤة

المصدر: Redissi. T, (1990), p. 213– 214.



شكل (2): تميمة عبارة عن ختم على شكل جعل.

المصدر: Redissi. T et Tilot. Monique, (1995), pl 1, pho. 8, p. 176.

- المراجع:

- . ديماس. فرانسوا، (1998)، آلهة مصر، تر: سوس. زكي، الهيءة المصرية العامة للكتاب..
- . ديناند. فرنسواز، لشتنبرج. روجيه، (2012)، الحيوانات والبشر تناغم مصري قديم، تر: فاطمة. عبد الله محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة. مصر.
- . هورس مايدان. مادلين، (1981)، تاريخ قرطاجة، تر: إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت- لبنان.

- . فنطر. محمد. حسين، (1999)، الحرف والصورة في عالم قرطاج، ، أليف: منشورات البحر الأبيض المتوسط ومركز النشر الجامعي، تونس.
- . الفرجاوي. أحمد، (1993)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاج، ، المعهد الوطني للتراث والمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس.
- . الموسوعة العربية العالمية، ج.24، ط.2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، (1999).
- . Chérif. Zohra -, (2017), **les offrandes en terre cuite au sanctuaire dit tophete de Salammbô a Carthage**, in Af. n° 24, pp. 29- 35.
- . Fantar. M. H, (1994), **La présence égyptienne à Carthage**, dans **Hommages à Jean Leclant**, vol. 3 le Caire, pp. 203– 211.
- . Lancel. Serge, (1992), **Carthage**, éd. Fayard, Paris.
- . Leclant. J, (1995), **Carthage et Egypte**, in: Actes du IIIème Con. Int des études phéniciennes et puniques, 11- 16 Nov 1991, vol. I, éd. INP Tunisie, pp. 41- 50.
- . Melitti. Khaled, (Mai 2006), **recherches sur la place de l'hellénisme dans l'évolution socioculturelle et politique de Carthage punique (fin Vs- 146 av. J. C)**, actions et réactins, Thèse de doctorat à l'université de Paris IV.
- . Quillard. Brigitte, Bijoux carthaginois :
- . -----, T. 1, (1979), **les colliers**, imprimerie orientaliste, Belgique.
- . -----, T. 2, (1987), **porte-amulettes, sceaux-pendentifs, pendants, boucles, anneaux et bague d'après les collections du musée national du Bardo et musée national de Carthage**, éd, imprimerie orientaliste, Belgique.
- . -----, T. 3, (2013), **les colliers apports de trois décennies (1979- 2009)**, éd. Boccard-Paris.
- . Racob. Friedrich, (juin 1991), **fouille a Carthage en 1990**, CEDAC Carthage, n° 12, pp. 07- 12.
- . Redissi. Taoufik, (1991), **étude de quelques amulettes puniques de type égyptisant**, Reppal. 6, INP, Tunis, Tunisie, pp. 95- 139.
- . -----, (2008), **études de quelques documents glyptiques de Carthage et de Chamtou**, Afr. Reppal. 14, pp. 129- 150.
- . -----, (2011), **étude de quelques thèmes de type égyptisant et orientalisant des scarabées et scaraboides de Carthage**, Actes du 1ère séminaire, la Carthage punique diffusion et permanence de sa culture en Afrique, INP, Tunis, 2008, Tunisie, pp. 39- 65.
- . -----, (1999), **étude des empreintes de sceaux de Carthage**, Karthago III, BAND II, Die Deutschen Ausgrabungen in Karthago, Friedrich Rakok (éd.), Mayence, pp. 4- 92.
- . -----, (1995), **étude des scarabées et scaraboides de Kerkouane**, Afr. série Reppal, IX, INP, Tunisie, pp. 115- 146.
- . -----, (2004), **Les albastrons égyptiens et égyptisants de Carthage**, Afr, XX, INP, Tunisie,, pp. 177- 218.

- . -----, (1990), **les amulettes de Carthage représentant les divinités léontocéphales et les lions**, in Reppal 5, INP, Tunis, pp. 163- 216,
- . -----, (2011bis), **les amulettes égyptienne, égyptisants : tombe D. 1 de Byrsa**, in **le jeune homme de Byrsa à Carthage**, exposition au musée national de Carthage oct 2010- mars 2011, a l'initiative du comité tunisien de l'ICOM, (International Council of Muséum), p. 51- 56.
- . -----, (Juin. 1991), **les empreints de seaux égyptiens et égyptisants de Carthage**, in **CEDAC Carthage**, n° 12, INP, Tunis, pp. 13- 24.
- . -----, (1997), **les objets de toilette égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire de Carthage, (Pls. 52- 53)**, in mitteilungen des deutschen archaeologischen instituts roemische abteilung band 104, pp. 359 - 378.
- . -----, (2002), **les objets égyptiens et égyptisants en provenance des fouilles dans le secteur de la rue ibn chàabat à Carthage-dermech**, Reppal, XII, INP, Tunis, pp. 109- 143.
- . -----, (1997), **les vases d'albâtre Egyptiennes de Carthage**, Afr. Reppal, n° 10, pp. 115- 131.
- . -----, (2004bis), **Quelques scarabées et scaraboides de jaspe vert du musée de Carthage**, Afr série Reppal, n° 13, INP, Tunisie, pp. 201- 216.
- . Redissi. T et Tilot. Monique, **catalogue des scarabées et et scaraboïdes de Kerkouane**, Reppal. 9, INP, Tunis, (1995), pp. 146- 188.
- . Rindelaub. Angela, Schmidt. Karin, (1996), **Les fouilles de l'université de Hamborg au-dessus du Decumanus Maximus de Carthage**, CEDAC Carthage n° 15, pp. 44- 52.
- . Roudissi. Siham, (1995), **étude de calvarium du squelette de la colline de byrsa**, CEDAC Carthage, n° 15, pp. 34- 39.
- . Vercoutter. J, (1945), **les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois**, in Syria, t. 24, fascicule 3- 4, pp. 307- 309.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

مولاي الحاج أحمد بومعقل (2021) ظاهرة انتشار التمانم في قرطاجة البونية بين القرن التاسع و146 ق.م، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، المجلد 14(العدد 01)، الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، ص.ص 76-89